

الأبعاد التداولية للخطاب التعليمي وآفاق تنمية الكفاية التواصلية لدى متعلمي المرحلة المتوسطة – دراسة ميدانية

Deliberative dimensions of educational discourse and prospects for developing communication adequacy among middle-level learners - field study

وفاء صبحي^{*1}

جامعة باجي مختار - عنابة (الجزائر)، wafa_sobhi@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/06/13

تاريخ القبول: 2024/01/15

تاريخ الاستلام: 2023/09/18

ملخص:

يعدّ الخطاب التعليمي ممارسة تواصلية تحصل بين طرفين متفاعلين يسعى أحدهما إلى التأثير في الآخر عبر سلسلة من الاستراتيجيات العقلية والنفسية والمعرفية والتداولية ... فحتى يتمكن المعلم من تبليغ مقاصده وتحقيق غاياته عليه أن يحسن اختيار المداخل الإقناعية التي تضمن له تحقيق تداولية خطابه، إضافة إلى مرتكزات تداولية أخرى يؤدي حسن استثمارها إلى تحسين الكفاية التواصلية لدى المتعلمين... فكيف يمكن الاستفادة من محاور اللسانيات التداولية في تطوير مناهج تعليمية اللغة العربية؟ وما هي المقولات التداولية التي يمكن اعتمادها أثناء الممارسة الصفية لتحسين الكفاية التواصلية للمتعلمين؟ وغيرها من الإشكالات التي ستناقشها هذه الورقة البحثية في ضوء دراسة ميدانية تم إجراؤها خلال الموسم الجامعي 2022/2021 بمعية طلبة ماسترلسانيات عامة..

كلمات مفتاحية: الأبعاد التداولية، التنمية، الكفاية التواصلية، المرحلة المتوسطة.

Abstract:

Educational discourse is a communication practice between two interactive parties, one seeking to influence the other through a series of mental, psychological, cognitive and deliberative strategies... In order for a teacher to communicate his purposes and achieve his aims, he should improve the choice of persuasive entrances to ensure that he achieves the deliberation of his speech, such as taking into account the precarious circumstances in which he conducts class practice, and other deliberative pillars whose good investment improves the communication competence of learners... How can deliberative linguistics be used to develop Arabic curricula? What deliberative arguments can be adopted during class

* المؤلف المرسل: وفاء صبحي، الإيميل : wafa_sobhi@yahoo.fr

practice to improve learners' communication sufficiency? and other problems to be discussed in this paper.

Keywords: *deliberative dimensions; development; communication adequacy; middle stage.*

- مقدمة:

إنّ عناية اللسانيات التداولية بالبعد التواصلي للغة، واشتغالها بالسياق الذي تنتقل ضمنه الرسالة بين متخاطبين متفاعلين يسعى أحدهما إلى التأثير في الآخر، يجعلها تُعدُّ بتحسين مردود التعليم باعتباره واقعة تواصلية بامتياز، يسعى المعلم فيها إلى تبليغ مقاصده التعليمية إلى عيّنة دارسة، ضمن مقام تعليمي يُعدّه مسبقاً مع مراعاة حالاتهم النفسية واستعداداتهم العقلية، ويمارس كافة أنواع الحجاج والاستمالات العاطفية والعقلية للظفر باقتناعهم وتعزيز دافعيتهم، مع تدريبهم ووضعهم ضمن بيئات افتراضية تحاكي المحيط الذي يعيشون فيه، ليضمن لهم حسن التأقلم والقدرة على حلّ المشكلات التي تصادفهم في الواقع، كما هي الحال في المقاربات الحديثة المعتمدة حالياً في منظومتنا التعليمية شأن المقاربة بالكفايات والمقاربة النصية ... فيتحول التعليم من مجرد استهلاك للمعارف إلى استثمار لها، تمهيدا إلى تحقيق طموح التعليمية الأسمى وهو الانتقال الآمن من التعليم إلى التعلم.

1. مفاهيم أساسية في الدراسة

1.1 المقاربة التداولية:

شكّلت اللسانيات التداولية رد فعل طبيعي على انكفاء التوجه البنوي على البنية اللسانية وفصلها عن كافة مسوغات إنتاجها، وكذا تعنّت التوجه التوليدي التحويلي الذي أصرّ على استقلالية التركيب وبالغ في الاهتمام بتفسير الظاهرة اللغوية عقليا، وأغفل الجانب الاستعمالي الذي تلقّفته التداولية وجعلته موضوع فرع معرفي جديد اصطلح عليه باللسانيات التداولية.

تُعدّ اللسانيات التداولية " بأي إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف"⁽¹⁾، وبآليات تخصيص الدلالة بين طرفي الخطاب، ويشمل ذلك كافة مظاهر التواصل العفوي أو الرسمي بما فيها الخطاب التعليمي موضوع بحثنا، وظهر هذا الفرع اللساني الحديث في سبعينيات القرن العشرين، عندما باتت الحاجة ملحة إلى العناية بالجانب التواصلي للغة، بعدما أغفلته التوجهات البنوية ردحا من الزمن، حيث أقر فلاسفة اللغة أمثال أوستين Austin، وسيرل Searle، وغرايس Grice* ضرورة

تجاوز البنية اللسانية للغة إلى ظروف تحقّقها الفعلي في واقع الاستعمال، مع حتمية مقارنة الظاهرة اللسانية مقارنة تداولية تعنى بأحوال المتخاطبين، وبمقاصد الخطاب، وبالمقام الذي تتحقق فيه، وبعده الحجاجي التأثيري، دون إغفال وظيفة الأفعال الكلامية التي تدعم الحجاج وتضمن التأثير، (غايّتها شرح وضعية التواصل وسياقه، وفتح أبواب البحث في ما لم يُقَل، ودراسة الضمني في الخطاب)⁽²⁾، لأنها تقترب من الخطاب في علاقته بمرسله ومتلقيه لترصد قوانين التخاطب وتكشف شروط نجاحه أو تهرّب ملابسات إخفاقه، وهذا ما يجعل المقاربة التداولية صالحة لمعاينة العملية التعليمية - التعليمية، فالمعلم يبلّغ ويفسّر ويسأل ويحاجج ليقتنع، والمتعلم يتفاعل بالإجابة والسؤال وحتى الحجاج ليبرّر موقفاً أو يشرح رأياً، وغيرها من المواقف التواصلية المتكررة التي تحتاج إلى إعداد مسبق يركز على فهم أن اللغة هي نسق من العلاقات المجردة: الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية، ونجاح تعليمها وتعلّمها مرهون بالاعتناء بوظيفتها التواصلية وبعدها التأثيري، لذا يجب أن تُبنى المناهج التعليمية في ضوء رؤية تداولية عميقة تكرس مبدأ الوضع والاستعمال، وتعوّل على قوانين بناء الخطاب وحسن تلقيه، كمنظريّة أفعال الكلام لأوستين وسيرل، وقانون التعاون لبول غرايس بمبادئه الأربعة: الكمية والكيفية والملاءمة والاتجاه، وقوانين الاستلزام الحواري والاقتضاء... التي تضمن تبليغ المقاصد إذا ما أحسن المعلم توظيفها في بناء درسه.

2.1 الكفاية التواصلية : La compétence communicative

عرّف اللسانيون⁽³⁾ الكفاية اللسانية " La compétence Linguistique " بأنها مجموع المعارف الكامنة في ذهن الإنسان تمكّنه من إنتاج الجمل وفهمها، وهي ذات طبيعة مجردة نستدل على وجودها بالإنجاز "La performance"، الذي يعرف بأنه التجسيد الفعلي لجانب من جوانب تلك الكفاية في مقام تواصل محدد، أمّا المقصود بالكفاية التواصلية هو امتلاك الفرد قدرة على استعمال النظام اللغوي بنجاح قصد تبليغ أغراضه والتعبير عن مقاصده، وهي ليست مركوزة في الإنسان بالولادة، إنما يكتسبها وينمّيها تباعاً من خلال المواقف التواصلية التي يتواجد فيها، والحق أنّ نعوم تشومسكي Chomsky Noam من أوائل اللسانيين الذين اهتموا بالكفاية اللغوية وألوهها عنايتهم، غير أنه أغفل مفهوم الإنجاز وما يترتب عنه من وظيفة تواصلية تنهض بها اللغة، ما جرّ عليه نقداً لادعا ترتّب عنه ازدهار التوجّه التبليغي التواصلية مع ديل هايمس Hymes Dell الذي أسس لمفهوم جديد أصطلح عليه بالكفاية التواصلية La compétence communicative ، وعرّفها قائلاً: "تتيح الكفاية التواصلية للمتعلم معرفة متى يتحدث ومتى لا يتحدث؟ وعن أي شيء يتحدث؟ ومع من يتحدث؟ حتى يصبح طرفاً فاعلاً في

النشاط اللغوي، كما يتمكن من تقييم الكيفيات الأدائية لهذه الأنشطة اللغوية⁽⁴⁾، فما أشبه هذا التعريف بالأسئلة التي تطرحها التداولية في مقاربتها للخطابات من قبيل: من يقول؟ لمن يقول؟ كيف يقول؟ وبأي تأثير؟، ثم إن ميزته تكمن في تعلّقه بالمتعلم ورصد سلوكه التواصلية داخل القسم.

تتعلّق الكفاية التواصلية بالقدرات الذهنية الكامنة: كالحس والذكاء والإدراك والدافعية والذاكرة ... كما هي الحال عند التوليديين، وبأشكال إنجازها أو كيفيات تحقّقها ضمن مقام اجتماعي محدّد، كما هي الحال عند التداوليين الذين تجاوزوا مفهوم البنية اللسانية وآليات توليدها وارتباط مستوياتها من منظور التوجهات البنوية والتوليدية التحويلية؛ إلى البحث في بعدها الوظيفي وتجلّيها في واقع الاستعمال ضمن سياقات اجتماعية لأن التواصل هو رباط للبنية اللسانية بواقع الاستعمال.

والواقع أنّ جل الطرائق التعليمية القديمة أسهمت في ضعف الكفاية التواصلية لدى المتعلمين، لأنها منحت مركزية العملية التعليمية التعلمية للمعلم، وقدّته مهام التبليغ فاحتكر وظيفة المرسل، واكتفى المتعلم بدور المتلقي السلبي، يضاف إليها المبالغة في الاهتمام بالكم المعرفي على حساب ميول المتعلم وطاقاته الإدراكية والفروق الفردية التي تميّزه عن أقرانه، وغيرها من العوامل التي أسهمت في صرف نظره عن الرغبة في التحصيل إلى أن ظهرت مقاربات تربوية جديدة ذات أبعاد وظيفية وتوجهات تفاعلية تنادي بانفتاح المدرسة على المجتمع وإعادة الاعتبار إلى دور المتعلم في تسيير الدرس وتشجيع التواصل والتفاعل المنتج، غايتها تخريج أفراد أسوياء يملكون حصيلة معرفية، وعُدّة منهجية، وكفاية تواصلية، تمكّنهم من حل المشكلات التي تواجههم في محيطهم وفي مقام هذه الدراسة سأختبر جدوى استثمار المقاربة التداولية في تحسين الكفاية التواصلية لدى متعلم المرحلة المتوسطة، مرتكزة على أهم مقولاتها: كنظرية أفعال الكلام، والنظرية الحجاجية، وأحوال المتخاطبين في علاقتها بالنظرية السياقية.

3.1 المرحلة المتوسطة :

اشتُقَّ اسمها من الموقع الذي تحتله بين مرحلتَي الطفولة والنضج الجسدي والعقلي، لأنها تتوسط المرحلتين الابتدائية والثانوية من التعليم العام، وفيها تبرز ميول المتعلمين وتتطور مداركهم استعدادا للانفتاح على الحياة الاجتماعية ولعب دور إيجابي فيها، وكثيرا ما توصف هذه المرحلة التعليمية بالحرّة، لأنها تتزامن مع سنّ المراهقة التي تطبع المتعلم بكثير من التغيرات الجسمية والنفسية تؤثر في سلوكه وميوله وقناعاته، لذا وجب إيلاؤها عناية خاصة تستهدف مساندة تلك التغيرات الجوهرية، فثمة من يصطلح عليها بالمرحلة الإعدادية، لأن المتعلم يُعدّ فيها ليكون شابا نافعا يتمتع بقدرات عقلية ومهارات جسمية تضمن له حسن

التأقلم في مجتمعه، لكنها تتميز كذلك بالاندفاعية والانفعال العاطفي والتقلبات المزاجية السريعة... بما يقتضي معاملة خاصة تستوعب حساسية هذه المرحلة، التي يُنظر إليها على أنها مرحلة البناء الذاتي والاختيارات المستقبلية والصراع بين الهوية الذاتية والهوية الاجتماعية، والسعي إلى فرض قراراته واختياراته... وغيرها من التناقضات التي جعلت علماء النفس يطلقون عليها تسمية مرحلة الأزمات، (فهي بحث عن الاستقلالية الاقتصادية والاندماج في المجتمع بعيدا عن رقابة العائلة، وهذا تعد المراهقة مرحلة انتقالية خاصة تسعى إلى تحقيق الاستقلالية النفسية والتحرر من التبعية لمرحلة الطفولة، الأمر الذي ينتج عنه تغييرات على مستوى الشخصية لا سيما في علاقتها الجدلية بين الأنا والآخر)⁽⁵⁾.

ورغم كثرة التغيرات الجوهرية التي تحصل في شخصية المراهق أثناء انتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج العقلي، أثرت أن أحصر بعض مظاهر ذلك التغير في المخطط الموالي:

4.1 التعبير الشفوي :

يقول تمام حسّان واصفا مهارة التعبير الشفوي: "عندما يتكلم الفرد فهو يقدم إنجازا لغويا فرديا في سياق اجتماعي، يخضع لمواصفات وتقاليد وخصائص تميزه عن التعبير الكتابي، أبرزها النبر والتنغيم، ممّا يجعله أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه"⁽⁶⁾... ميزة هذا التعريف تداوليته، فهو يجمع كافة مرتكزات المقاربة التداولية للخطابات الشفوية، إذ يعرفه بأنه تلقّف في سياق يحبل بمقاصد مرسله، ويتميّز عن النمط المكتوب بالظواهر الصوتية الوظيفية التي تضي عليه فاعلية وتأثيرا، ومن خصائصه التداولية ما يلي:

- يتعلّق بمرسله، ويرتبط بالسياق الذي قيل فيه، ويستشرف ردود فعل متلقيه.
- يعوّل على الظواهر الصوتية: كالنبر والتنغيم والتكرار والوقف ... في تبليغ المقاصد، وبذلك يحقق مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي يُعدّ خصيصة من خصائص اللسان البشري.
- تأثيره مضمون لأن متلقيه حاضر، وتغلب عليه ذاتية مرسله لأنه متحرر من قيود الكتابة.
- يهتم بتبليغ المقاصد أكثر من عنايته بقوانين التأليف، ويستعين على تحقيق ذلك بلغة الجسد من إيماءات وإشارات ووضعيات ...
- يعتمد على الافتراض المسبق والتواطؤ والاتفاق مع المتلقي حتى يضمن تبليغ مقاصده وإفهام رسالته.

مدونة البحث ومنهجية الدراسة:

ترتكز مدونة الدراسة التطبيقية على:

1- حوارات ومناقشات أجريتها مع بعض أساتذة المرحلة المتوسطة ومفتشي اللغة العربية لعدّة مقاطعات تعليمية بولايي عنابة وسكيكدة.

2- تجربة ميدانية أشرفتُ على تنفيذها في العام الماضي 2018-2019 مع عينة من طلبة السنة الثانية ماستر تخصص لسانيات عامة، حيث كلّفهم -في إطار مقياس التحليل التداولي للخطاب- بدراسة تداولية الخطاب التعليمي، في ضوء زيارات ميدانية لبعض المدارس المتوسطة، لمعاينة الخطاب التعليمي أثناء تحقّقه الفعلي.

أودّ أن أشير إلى أنّي انتقيت من المعطيات الميدانية المتوفرة لدي مادّة يسيرة تناسب مقام هذه الدراسة المقيّدة بحجم المقال، لذا سأكتفي بعرض بعض النماذج التمثيلية التي تخدم مطالب الموضوع المطروق.

التجربة الميدانية:

تركزت دراستنا ميدانية على زيارة بعض المدارس المتوسطة، لمعاينة الخطاب التعليمي أثناء تحقّقه الفعلي، وتحليله بالارتكاز على أقطابه المتفاعلة والبحث في أبعاده التداولية، التي يمكن الاستفادة منها في اقتراح مقاربات تعليمية جديدة تغطي مكان النقص التي خلّفها سابقاتها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مهام الطلبة انحصرت في حضور الحصص التعليمية وتسجيلها صوتيا، ووصف مراحل تنفيذ الدرس وجمع الملاحظات عن تفاعل المتعلمين مع المعلم، ثم نقوم بعرضها على زملائهم في الجامعة في إطار الحصص التطبيقية لمقياس التحليل التداولي للخطاب، ونشتغل معا على استجلاء الأبعاد التداولية في خطابات المعلمين والمتعلمين، في ضوء رؤية تداولية تبحث في تفعيل نظرية أفعال الكلام، ونظرية المقاصد والنظرية السياقية، والنظرية الحجاجية... وغيرها من النظريات التي تثمّن البعد التواصلية في الخطاب، حيث ركّزت هذه التجربة على نشاط التعبير الشفوي أو ما يُصطلح عليه في إطار المقاربة بالكفايات بفهم المنطوق وإنتاجه.

بعد تفرّغ التسجيلات وتصنيفها توقّرت لدينا عيّنة تمثيلية عن الخطابات المتداولة داخل الفصول الدراسية في مقامات التواصل الشفوي، فقرّرنا مقاربتها تداوليا كالآتي:

أ. أحوال المتخاطبين:

تتعلّق فعاليات العملية التعليمية التعلمية بطبيعة العلاقة التي تجمع طرفي الخطاب وهما المعلم والمتعلم، ونجاحها مشروط بنجاح التفاعل بينهما، وحتى يتحقّق الخطاب التعليمي في ظروف تداولية جيّدة يجب أن يمتلك كلّ منهما جملة من الخصائص والصفات تساعد في أداء دوره حسب مقامه في العملية التواصلية القائمة على فعلي التشفير وإزالة التشفير.

– المعلم/الباث:

من شروط نجاح المعلم في تسيير درسه⁽⁷⁾ امتلاك كفاية تواصلية جيّدة تمكّنه من حسن تخيّر اللفظ المناسب للمقام، بما يضمن تبليغ المقاصد والإقناع بها، وهي مشروطة بامتلاك كفاية لسانية تمكّنه من ربط النظام اللغوي بواقع استعماله، لأنّ الإحاطة بالجانب المعرفي لنظام لغوي ما؛ لا تعني بالضرورة القدرة على توظيفه في مقامات التواصل المختلفة، يُضاف إليها كفاية تداولية، تمكّنه من مراعاة أحوال المتلقي؛ بالاحتكام إلى خلفيته النفسية والاجتماعية والثقافية، وكذا حسن اختيار المقاربات البيداغوجية المناسبة لإيصال المحتوى التعليمي، دون أن تغفل أهمية امتلاك كفاية معرفية تتجلّى في الإلمام بموضوع الخطاب من زاوية نظر ابستمولوجية، لأنّ الإفهام مرهون بالفهم.

بعد دراسة الممارسات الصفية التي تمّ اختيارها للتطبيق، جمّعنا الملاحظات في الجدول الموالي:

الجدول: أسباب تدني التواصل الشفوي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة

المعلم (ص.ع.ش) متوسطة الترقى ولاية سكيكدة – خبرة في الميدان 17 سنة	المعلمة (ح.م) متوسطة 19 مارس 62 عنابة – خبرة في الميدان خمس سنوات	الكفاية
- لا يظهر عليه أي عيب من عيوب الكلام - تتكلّم بسرعة، وإن أبطأت تخطئ، مع التحكم في جل القواعد - تخطئ في بعض الأحيان في حركات أواخر الكلم - استعمال العامية في بعض مقامات الشرح والتوضيح	- لا يظهر عليها أي عيب من عيوب الكلام - تتكلّم بسرعة، وإن أبطأت تخطئ، مع التحكم في جل القواعد - تخطئ في بعض الأحيان في حركات أواخر الكلم - استعمال العامية في بعض مقامات الشرح والتوضيح	الكفاية اللسانية - لا يظهر عليه أي عيب من عيوب الكلام - التحدّث بطلاقة بلسان فصيح - خلو العبارات المستعملة من أخطاء لغوية - استعمال العامية في بعض الأحيان

<p>- مرحلة، ضحوة، كثرة الكلام، تستعمل بكثرة لغة الجسد</p> <p>- تتحرك باستمرار بين الصفوف والطاولات وفي كل أركان القسم</p> <p>- تحتكر الكلام، وتسارع بالإجابة عند طرحها للأسئلة</p> <p>- تجتهد في تحفيز الممتنعين عن الكلام وتشجعهم على المحاولة</p>	<p>- تبدو عليه ملامح الجدية والصرامة أثناء الكلام</p> <p>- يقف باستمرار أمام السبورة مقابلا للمتعلمين</p> <p>- يحتكر الكلام بشكل لافت ويغلب عليه التلقين</p> <p>- يختار من يجيب عن السؤال ولا ينتظر المبادرة</p>	<p>التداولية</p>
<p>- تخطيط جيد للدرس وإحاطة معرفية بموضوعه</p> <p>- التقيد بعناصر الدرس دونما استطراد أو توسيع</p> <p>- توظف المثال والشاهد، وتطلبها أحيانا من التلاميذ</p>	<p>- إلمام واضح بموضوع الدرس وتحضير جيد</p> <p>- يمتلك المعلم حصيلة ثقافية واسعة تبهر التلاميذ</p> <p>- يجيد اختيار الأمثلة التوضيحية التي تيسر الفهم</p>	<p>المعرفية</p>
<p>- محاورة جيدة تبعث الراحة في نفس مخاطبها</p> <p>- تبالغ في المدح والتعزيز الإيجابي حتى في غير محلّه</p> <p>- تمنح فرصة الكلام للمتعلم لكن سرعان ما تقاطعه.</p> <p>- تبالغ في الاحتفاء بمحاولات التلميذ، وإن كان بعضها خاطئ</p>	<p>- يتكلم باستمرار ولا يمنح الفرصة للمتعلم إلا إذا سأله، أو طلب منه الإجابة.</p> <p>- يوجه نقدا لاذعا خاصة إذا تكرر الخطأ من التلميذ</p> <p>- عبارات الشكر رتيبة: جيد، أحسنت ...</p>	<p>التواصلية</p>

المصدر: الجدول من تصميم الباحثة

تبين القراءة الفاحصة في محتوى الجدول تقاربا بين النموذجين في امتلاك المهارات اللسانية والمعرفية وتفاوتا في المهارات التداولية والتواصلية. وسبب ذلك أنّ تكوين معلمي اللغة العربية يركز بالأساس على الجانبين: اللساني والمعرفي، حيث يهتم المعلم أثناء إعداد درسه بالعناصر المعرفية للموضوع، مع الحرص على السلامة اللغوية أثناء التواصل الشفوي، ولا شك

أنّ هذا المسار هو موروث الطرائق التعليمية التقليدية التي تركز على المحتوى المعرفي وتغفل دور المتعلم.

أمّا التفاوت البيّن بين النموذجين في امتلاك المهارات التداولية والتواصلية فيرجع بالأساس إلى انتماء النموذج الأول إلى المدرسة التقليدية (17 سنة أقدمية في الميدان)، التي ترفع من دور المعلم وتجعله رابطة العقد وقطب الرحى في العملية التعليمية، والمتعلم فيها يتلقى المعارف ويتماها ضمن بقية عناصر المنهاج، على عكس النموذج الثاني (خمس سنوات أقدمية في الميدان) خريج تخصّص تعليمية اللغة العربية في الجامعة الجزائرية، وهو تخصص يسعى إلى مواكبة راهن الطرائق التعليمية الحديثة في العالم، التي تركز على محورية المتعلم في مساره التعليمي وتدعو إلى الاهتمام بظروفه النفسية والعقلية والاجتماعية، واعتبار كل متعلم حالة خاصة ويستدعي معاملة خاصة، وهذا ما يبرز اهتمامها الواضح بالمتعلم والعمل على تحفيزه وشحن دافعيته ومراعاة ميوله، وليس يدهشنا ذلك لأنّ التوجهات اللسانية التعليمية الحديثة تدعو إلى الانفتاح على نظريات علم النفس المعرفي واللسانيات التداولية التي تُعلي من شأن البعد التواصلية التفاعلية في التعليم .

المتعلم/ المتلقي: تكشف الممارسات الصفية المختلفة عن تبادل للأدوار بين طرفي الخطاب، بعدما كرّست المقاربات التعليمية الحديثة مبدأ الشراكة بين المعلم والمتعلم في بناء تعلماته وصناعة معارفه، غير أنّي أبقى – في سياق هذا المقال – على الدور الكلاسيكي الذي يؤديه المتعلم، حتى أحافظ على منطق القطبية في الخطاب، ورصد آليات انتقال الرسالة من الباث إلى المتلقي، بغاية الوقوف على المداخل الإقناعية التي يمرّ عبرها المعلم مقاصده إلى المتعلم، بعدما صار المتعلم جزءا فاعلا في بناء الخطاب التعليمي، يستوجب حسنُ تعليمه إذعائه وتسليمه وتزجيره جودة تعلمه باقتناعه وتأثره، باعتماد الحوار البنّاء والمناقشة الإيجابية، والتوسّل بالحجاج العقلي والاستمالات العاطفية، لإنهاء تردده ودفعه إلى المشاركة الإيجابية في صقل مهاراته وتنمية كفاياته... وحتى أتمكّن من استنباط الأبعاد التداولية المتعلقة بتنمية الكفاية التواصلية لدى المتعلم؛ سأكتفي برصد الأخطاء التي اعترت خطابات المتعلمين الشفوية في حصص فهم المنطوق وإنتاجه، ثم إحصاؤها وتصنيفها في ضوء الكفايات التي يجب

أن يمتلكها متعلم المرحلة المتوسطة (عيّنة من تلاميذ السنة الرابعة متوسط) واقتراح أساليب تقويمية علاجية في ضوء المقاربة التداولية، وفق الجدول الموالي:

الجدول: شرح أنواع الأخطاء وسبل التقليل منها في ضوء المقاربة التداولية

مقترحات لعلاجها في ضوء المقاربة التداولية	مظاهرها في واقع الاستعمال	أنواع الأخطاء
<p>- اصطناع مواقف تواصلية يُعدها المعلم مسبقا بالاعتماد على بعض التلاميذ الذين لا يعانون من هذه الاضطرابات، لتشجيع زملائهم على الاقتداء بهم، وتوفير جو من البهجة والفرح والانطلاق حتى يقلل من ارتباكهم وترددهم، والعمل على تعزيز ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم، والمبالغة في المدح وغض الطرف عن بعض الأخطاء، وفق قانون التعاون لبول غرايس.</p>	<p>- الارتباك والخجل والتردد أثناء الكلام - انعدام الحركة والجمود وعدم توظيف لغة الجسد - انخفاض الصوت والتلعثم وزلات اللسان - الألية والرتابة في الكلام كأنه يستحضر محفوظا أو يقرأ من كتاب.</p>	<p>أخطاء ذات منشأ نفسي</p>
<p>- التأكيد على أنّ نمو الكفاية التواصلية مشروط بامتلاك كفاية لغوية تغطي الحاجات التواصلية للمرحلة العمرية للمتعلم. - إحصاء المعلم للأخطاء الشائعة والمتواترة بين المتعلمين وتبويبها والاستغال عليها في كافة الأنشطة التعليمية على مدار الوحدة. - العمل على أنّ الغاية من القاعدة النحوية أو الصرفية أو المعجمية ليس فهمها أو حفظها، بل القدرة على توظيفها في مقامات التواصل الشفوي أو الكتابي، والتدخل لتصويب الأخطاء أثناء التعبير، ومن المناسب جدا الاعتماد على نظرية الأفعال الكلامية لأوستين وسييرل، والتأكيد على مناسبة كل صنف منها للمقام الذي يقتضيه موضوع التعبير الشفوي.</p>	<p>- الخلط بين أزمنة الفعل الماضي والمضارع - العجز عن توظيف الروابط المنطقية بين الجمل - عدم التحكم في القواعد النحوية والصرفية في واقع الاستعمال وإن كان يحفظها. - فقر الحصيلة المعجمية للمتعلم</p>	<p>أخطاء متعلقة بالكفاية اللسانية للمتعلم</p>

أخطاء متعلقة بقصور الكفاية التواصلية لدى المتعلم	<p>- الجهل بقواعد الحوار البناء.</p> <p>- مقاطعة الآخرين وعدم احترام الرأي الآخر</p> <p>- العجز عن مناقشة قضية وإبداء الرأي فيها</p> <p>- عدم القدرة على الحجج واختيار الحجج الداعمة للموقف.</p> <p>- عدم التحكم في مقامات توظيف الظواهر الصوتية كالترير والتنغيم والوقف.</p>	أخطاء الجانب الابداعي والتداولي
<p>- اصطناع مواقف حوارية مثالية مقتبسة من يوميات المتعلم ومن محيطه، يضمّن كافة القواعد الشكلية والقيمية التي تضمن نجاحه.</p> <p>- وضع المتعلم في وضعية مشكلة ودفعه إلى اقتراح حلّ لها، شرط انتمائها إلى واقعه وتناسها وقدراته الإدراكية ن ثم تمشين ما يقوله وتشجيعه على إعادة الكرة حتى يتغلّب على تردده وارتبأكه.</p> <p>- تدريبه على طريقة النبر والتنغيم والوقف ومواطنها، عن طريق المحاكاة، مع توظيف الوسائط التكنولوجية السمعية البصرية المساعدة</p> <p>- الانطلاق من النصوص الحجاجية لشرح فكرة البرنامج الحجاجي وآليات الانطلاق من وضعية انطلاقية للوصول إلى نتيجة مرتقبة عبر توظيف مجموعة من الحجج المترابطة منطقيا والمتنامية ديناميا وفق قانون السلالم الحجاجية لأوزفالد ديكر</p>	<p>- إهمال المعلم مبدأ الفروق الفردية.</p> <p>- نقص التعزيز الإيجابي والتشجيع وتشمين المنجز.</p> <p>- عدم تنوع الطرائق التعليمية بما يتناسب وتنوع الأنشطة التعليمية والمهارات المستهدفة.</p> <p>- تكريس الفصل الحقيقي بين علوم العربية واستقلال كل مادة بحصة منفردة.</p> <p>- ضيق الحجم الساعي المخصص لنشاط التعبير الكتابي، وعدم تشجيع استعماله في غيره من الأنشطة التعليمية.</p>	<p>- التعامل مع كل متعلم على أنّه حالة خاصة ويستدي معاملة خاصة، فقد يستلهم المعلم من محيط كل متعلم وميوله وهواياته ما يشجعه على التعبير والتواصل الشفوي، خاصة إذا كان الموضوع المقترح عليه مشوقا ويولي فضوله ويتوافق مع أفق انتظاره.</p> <p>- التعزيز الإيجابي وأسلوب المكافأة والإطراء لا يتناسب بالضرورة مع جودة المنتج، بل قد تكون بواعثه نفسية ترمّم ثقة المتعلم بقدراته وتشجعه على مزيد من الإنتاج والتفاعل وتعزّز ثقته بالمعلم وبزملائه.</p> <p>- اللغة العربية وحدة متكاملة ولا فائدة ترجى من فصل موادها أثناء العملية التعليمية، بل إن السبب في ضعف الكفاية التواصلية لدى المتعلم هو تكريس ذلك الفصل، مع ضرورة إدراك أن التعبير الشفوي السليم مؤشر على امتلاك المتعلم كفاية لغوية مناسبة، لذا يجب إعادة</p>

<p>الاعتبار إليه أثناء توزيع الخريطة الزمنية للأنشطة التعليمية.</p>		
---	--	--

المصدر: من تصميم الباحثة

يتضمّن هذا الجدول وصفاً لأحوال المتخاطبين أثناء ممارسات تواصلية مختلفة في حصص فهم المنطوق وإنتاجه، غايته الوقوف على أسباب فشل التواصل، أو حصول تشويش يعيق وصول الرسالة من الباث إلى المتلقي، حيث قمنا بتصنيف هذه الممارسات الخاطئة حسب الكفاية التي تقابلها كما هو واضح في الجدول غير أنّ الغاية من هذا الإجراء؛ اقتراح أساليب تقويمية علاجية تداولية تُعلي من شأن الظروف المقامية المحيطة بالعملية التعليمية التعلمية، وتوجّه النظر صوب أسباب الخطأ أو التردد والارتباك، بخاصة الأخطاء ذات المنشأ النفسي والأخطاء المتعلقة بالجانب التواصلية والتداولية، وهذا يستوجب عناية بالجانب البيداغوجي، واختيار مقاربات تعليمية تهتم بالفروق الفردية بين المتعلمين وبظروفهم النفسية والاجتماعية، مع إعادة النظر في أساليب التقويم ومنهجيات إعداد الدروس وتقديمها.

الأفعال الكلامية وتحسين القدرة التواصلية

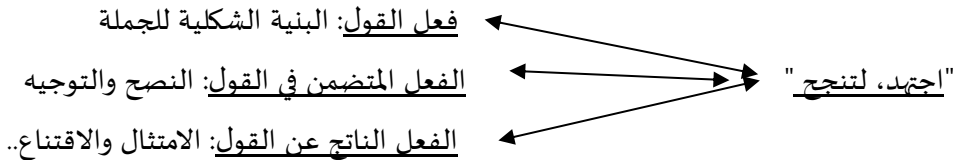
الفعل الكلامي هو خلاصة التفاعل بين بنية لسانية ومقام اجتماعي، يستمد طاقته الإنجازية من توافقه مع الممارسات التواصلية التي يتواضع عليها أفراد المجتمع، دون أن تُغفل مقاصد المتكلم ونواياه، لأنها تتحكّم في ردود فعل المتلقي وتوجّه القول نحو دلالات يقصدها المرسل.

حظيت نظرية أفعال الكلام بمكانة ذات امتياز في الدراسات التداولية منذ ظهورها مع أوستين Austin الذي رفض حصر وظيفة اللغة في وصف الواقع؛ وما يترتب عن ذلك من إصدار أحكام بالصدق أو بالكذب، وذهب إلى أنّ ثمة نمطا من العبارات الوظيفية لا يخضع إلى هذا المعيار، وأنّ مجرد التلفظ بها يُنشئ فعلا إنجازيا، ولا يزال الجدل قائما حول أصولها المعرفية ومجالاتها التطبيقية، حيث يصنّفها اللسانيون البنويون ضمن حقول التداولية، أمّا اللسانيون التداوليون أمثال أوركيوني Orecchioni فيصرون على انتمائها إلى حقل الدلالة بمفهومه الموسّع، ويؤكد فلاسفة اللغة أمثال أوستين Austin وسيرل Searle واللساني بنفديست Benveniste على ارتباط بنيتها بقيود لسانية وأطر فلسفية من جهة، وبأبعادها الاجتماعية

وظروفها المقامية من جهة ثانية⁽⁸⁾، وحتى ندرك الصبغة التفاعلية للأفعال الكلامية؛ علينا أن ننطلق من أنّ الواقعة الحوارية التي تقوم عليها العملية التعليمية التعلمية هي نشاط مؤسسي يتشارك فيه طرفا الخطاب (المعلم/المتعلم) حيث يتحقق التفاعل غالبا بالاستعمال المتناوب للأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة من قبل المتخاطبين، كأن يقول معلم لمتعلم: "هل يمكنك إعادة سرد القصة التي سمعتها؟"، فظاهر العبارة يوحي "بالاستفهام"، ولكن دلالتها السياقية المترتبة عن فعل التأويل الذي يؤديه المتلقي تتعلّق "بالطلب"، فكيف للمتكمّل أن يقول شيئا ويقصد شيئا آخر؟ وكيف ينتقل المتلقي من المعنى المصرّح به إلى المعنى المستلزم حواريا... هذا ما اصطلح عليه سيرل Searle بالأفعال الكلامية غير المباشرة؛ التي يتوقف إدراكها على الممارسات اللغوية العرفية التي يتشاركها طرفا الخطاب.

يشير أوستين Austin إلى أنّ الفعل الكلامي يتضمن ثلاثة أفعال متكاملة تحقّق ماهيته ووظيفته، وأنّ استثمار الأفعال الكلامية في إنتاج الخطابات وفي حسن تلقّيها مرهون بفهم هذه الأبعاد، وهي⁽⁹⁾:

- فعل القول Acte locutoire: وهو فعل التلفظ، أي إنجاز متواليات لسانية تخضع لقوانين التركيب، حاملة لدلالة.
 - الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire: هو الفعل الإنجازي الذي يتضمّن القول، وهو موضوع الدراسة التداولية.
 - الفعل المترتب عن القول Acte perlocutiore: وهو الفعل التأثيري المترتب عن المظهرين السابقين ويتجلى في ردّ فعل المتلقي.
- فلو قال المعلم للمتعلم:



تمكننا نظرية أفعال الكلام من جعل حصة فهم المنطوق وإنتاجه أكثر واقعية وقرباً من اهتمامات المتعلم وبيئته التواصلية، ويشترط لتحقيق ذلك؛ إعادة النظر في طرائق تقديم المواضيع المقترحة، وجعلها أكثر قابلية للتعلم، بعدما لاحظنا أثناء الزيارات الميدانية توظيفاً فعلياً لبعض أصناف أفعال الكلام، سواء في خطابات المعلم أو في استجابات المتعلمين، لكن توظيفها كان عفويًا لا يقف عند أهميتها في تحسين التواصل وتحديد مقاصد الخطاب، وهذا ما دعانا إلى اقتراح تصور أولي لحصة فهم المنطوق وإنتاجه بالاعتماد على نظرية أفعال الكلام كما هو موضَّح في الجدول الموالي:

الجدول: خطوات إعداد حصة فهم المنطوق وإنتاجه بالاعتماد على نظرية أفعال الكلام

المرحلة	الهدف وطريقة التنفيذ	مثال
الاستكشاف	- تحديد الفعل الكلامي المستهدف - التعرف على استعماله في وضعيات تواصلية مختلفة - فهم القيمة التداولية لهذا الفعل	-التقريرات، الطلبات، الوعديات، التصريحات، السلوكيات - ربط كل صنف بالأغراض الإنشائية التي يؤديها: مثلاً: <u>التوجيهيات</u> : يندرج ضمنها الأمر، الطلب، الالتماس... - التمييز بين درجات الفعل حسب الجهة التي أصدرته وقدرتها على إنفاذه، فالأمر مثلاً لا يصدر إلا من الأقوى في الخطاب ويمتلك سلطة إنفاذ قراره، عكس الطلب أو الالتماس
التدريب	- ترسيخ الموارد التي تعرّف عليها في مرحلة الاستكشاف. - ربط عينة من الأفعال الكلامية بالمقامات التواصلية التي تناسبها.	- اقتراح وضعيات تواصلية افتراضية تتعلق بمقامات مختلفة: كوصف مكان، التعريف بالذات أو بالغير، إبداء الرأي في قضية خلافية. - تدريب المتعلمين على توظيف الأفعال الكلامية وربطها بالغرض الذي يقتضيها: كالوعد والتهنئة والشكر والتحذير...

<p>- كأن يحث المعلم تلاميذه على التعبير عن موضوع أضرار التدخين ويوجهه إلى نصح زملائهم بعواقبها وأخطارها ... في المقدمة: يوظف أفعال الوصف والتقريب والإخبار... في العرض: يستعمل أفعال التحذير والنهي والردع ... في الخاتمة: يستعمل أفعال النصح والإرشاد والاستمالة ...</p>	<p>- يتم فيها إدماج التعليمات واستثمار ما تعلمه في إنتاج شفوي مرتبط بمقام يتطلب استثمار أفعال كلامية مخصوصة.</p>	<p>الاستثمار</p>
---	--	------------------

المصدر: من تصميم الباحثة

يشير محتوى الجدول إلى أنّ إدراج نظرية الأفعال الكلامية في منهاج اللغة العربية، وتدريب المتعلمين على توظيفها حسب المقامات التي تستدعيها؛ يمنح الممارسة الصفية صبغة تداولية، وما يؤكد ذلك؛ حضورها الفعلي في مجمل الحوارات الدائرة داخل الحجرة الصفية، من طرح لأسئلة وإجابة عنها، وما يرافق ذلك من تعزيز إيجابي أو سلبي يتبعه ترسيخ أو تصحيح، إضافة إلى ما يتخلل الحصة التعليمية من توجيه أو نهي أو أمر... وغيرها من الأفعال الكلامية التي يحبل بها الخطاب التعليمي، كما تكمن أهمية الاشتغال عليها في:

- التمييز بين الخطابات، من حيث توجهاتها الفكرية وأساليبها اللسانية وأبعادها التداولية.
- التمييز بين المقاصد المعلنة والمضمرة في الخطاب، تبعا لتصنيف أوستين Austin أفعال الكلام إلى مباشرة وغير مباشرة.
- إجادة فعل التأويل المفضي إلى الظفر بنوايا مرسل الخطاب ومقاصده الحقيقية.
- التمرّس على ربط الأفعال الكلامية بالمقامات التواصلية التي تناسبها، بغاية إضفاء بعد حجاجي تداولي على الخطاب المنجز.
- التمكن من اختيار الأفعال الكلامية المناسبة للموقف التواصلية الطارئ، وهي مواقف متنوعة يتواجد فيها المتعلم حتى خارج المدرسة، مما يتيح له المشاركة بفاعلية في الواقعة الحوارية دونما نقص أو ارتباك.

- امتلاك القدرة على تحليل الخطابات المتنوعة، وفهم أبعادها التداولية، وإدراك المسكوت عنه فيها... وغيرها من الغايات التي تجعل التعويل على هذه النظرية في بناء منهاج اللغة العربية في كافة المستويات التعليمية ضرورة لا غنى عنها.

حجاجية الخطاب التعليمي ومقاصده:

يُعدّ الحجاج ممارسة لغوية مألوفة في خطاباتنا اليومية، نجزه بعفوية تنتفي عنها القصدية في حالات كثيرة بغاية التأثير في المتلقي، حيث تتباين المقامات وتتنوع السياقات بين النهي والنفي والشرط والتوكيد... وغيرها من الأساليب، التي تقتضي من المرسل أن يُضمّن خطابه حُججا تُقنع السامع بضرورة تبني فكر جديد، أو نبذ موقف معين، أو تعديل سلوك قائم، لذا يُعرّف بأنه "العملية التي يسعى من خلالها المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"⁽¹⁰⁾، ضمن مشهد تواصلية مدرّس تكون الرسالة فيه أهم مكوّن من مكوّنات عملية الاتصال، حيث يُضمّن المرسل أفكاره ومعتقداته بطريقة تُؤثّر في المرسل إليه، وتجعله يقتنع بأطروحاته ويتبني مواقفه، ويُوظّف لتحقيق ذلك- شتى الوسائل اللغوية والأساليب البلاغية كالحجج والروابط الحجاجية وأساليب الشرط والتوكيد والمقارنة... وذلك للانتقال بالمتلقي من طور الاستماع والإدراك، إلى طور الرضى والتسليم والافتناع بمضمون الرسالة، ف"الحجاج هو فن إقناع المرسل المتلقي مستمعا كان أو قارئاً، استناداً إلى عدد من الحجج المترابطة فيما بينها ترابطاً منطقياً، والمتنامية تنامياً دينامياً بغية التأثير فيه وجعله يعتقد في صدق وحقيقة وعدالة وفائدة ما يدافع عنه"⁽¹¹⁾.

أسفرت دراستنا الميدانية عن ملاحظة الطبيعة الحجاجية للخطاب التعليمي الدائر في غرفة الصف بين طرفيه: المعلم والمتعلم، خطاب يقوم على المناقشة والحوار والتوجيه وتوظيف الحجج للتأثير في المتلقي، ولن أبالغ إذا قلت: إنّ الخطاب التعليمي خطاب حجاجي بالأساس؛ لأنّ المعلم يسعى في كل مراحل الدرس إلى تبليغ مقاصده التعليمية بأسلوب حجاجي مدرّس ينطلق من المكتسبات القبلية للمتعلم ويتدرّج في بناء التعلّمات إلى أن يحقق الكفاية الختامية، مكرّساً أدبيات الحوار البناء؛ من احترام الرأي الآخر، وعدم التعصب للرأي، واحترام الدور في أخذ الكلمة، وعدم مقاطعة المتكلم... بما يخدم تنمية الكفاية التواصلية لدى المتعلم، ولا يكفي أن يمارس المتعلم والمعلم الحجاج بعفوية في أثناء الحصّة التعليمية، بل أعتقد أنّ إدراج الممارسة

الحجاجية بأصولها المعرفية وإجراءاتها التطبيقية في مناهج التعليم صار ضرورة لا غنى عنها، وهذا ما دعاني إلى اقتراح تصور منهجي لتدريب المتعلمين على توظيف الحجاج توظيفا واعيا، يقف على أهميته في تبليغ المقاصد وتحسين مردود التواصل، فبعد المعاينة الميدانية قمنا بإسقاط أهم مبادئ النظرية الحجاجية وأكثرها ملاءمة للمرحلة المتوسطة على بعض الأمثلة من الممارسات التعليمية؛ حتى نتحقق من فاعليتها في بناء الدلالة وفي توجيهها الوجهة التداولية التي تناسب مرسل الخطاب، وذلك ما يوضحه الجدول الموالي:

الجدول: مظهرات النظرية الحجاجية في الخطاب التعليمي من واقع الممارسة الصفية

أساسيات النظرية الحجاجية	تمظهراتها في الخطاب التعليمي
الحجة: "عنصر دلالي متضمن في القول يُقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يُصيرها حجة أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق" (12).	- تركز جل المقاربات التعليمية الحديثة على أهمية إقناع المتعلم وحسن التأثير فيه، لذا لا يخلو خطاب تعليمي من توظيف مكثف للحجج تختلف أنواعها باختلاف الكفاية المستهدفة والمقام والمقاصد التعليمية.
أنواع الحجاج: (13) أشهرها وأكثرها مناسبة للخطاب التعليمي:	سأمثل لكل نوع بمثال من واقع الحصص التعليمية: - يقول المعلم: "يمنع منعا باتا الغش في الامتحان"، فهو يستند إلى سلطة القانون لإنفاذ قراره. - يشرح فضل الصدقة الجارية ويدعم قوله بحديث الرسول (ص): "إذا مات ابن آدم انقطع عمله من ثلاث..." - يشرح الألفاظ بأضدادها، أو يعالج الظواهر السلبية بنقيضها الإيجابي، أو ينطلق من وضع مألوف لدى المتعلم ليشرح وضعها جديدا يختلف عن الأول، وهو أسلوب حجاجي شائع وقريب إلى فهم المتعلم. - يستهدف فيه المعلم عاطفة المتعلم وميوله، خاصة أثناء عرض قضايا إنسانية كالفقير واليتيم، أو شرح قضايا تاريخية كالاستعمار وثورات التحرر.
الحجاج بالسلطة: يستمد قوته من السلطة التي ينتهي إليها: علمية، سياسية، دينية، قانونية...	الحجاج بالشاهد: يستمد قوته من قوة مصدر الشاهد، وأهمها: القرآن، الحديث، الشعر، نظريات العلماء.
الحجاج بالنموذج والنموذج المضاد: تُعتبر في القول الحجاجي مقدمات تستخلص منها نتائج معينة تؤدي إلى امتداح سلوك خاص يمتلك بعض مظاهر التميز (14)، تقوم على شرح القضية بنقيضها أو ضدّها.	الحجاج الانفعالي: أو ما يعرف بالاستمالة العاطفية، يتخذ من عاطفة المتلقي مدخلا إقناعيا يمرر عبره مقاصده.
الاستدلال المنطقي: أو البرهان، يُعدّ أقوى أنواع	- الاستدلال المنطقي يتناسب مع المواد العلمية التي تركز على النظريات والبراهين العلمية، كقانون النسبية، والجدائية، ودافعة أرخميدس، لأنها لا تشرح الظاهرة فقط بل تثبتها.

	<p>الحجاج لأن نتائجه يقينية يقوم على القياس، ويُفضي إلى نتيجة حتمية فيها صرامة وإلزام، وترتبط قضاياها وفق علاقة التعدي حيث تقودنا إحداها إلى الأخرى وجوبا.</p>
<p>لا يخلو منها خطاب شفوي أو نص مكتوب، درسها المتعلم كحروف عطف أو استدراك أو تحقيق، لكن لم يتعرف على وظيفتها في الحجاج، وهي وظيفة تدرك من السياق.</p> <p>حروف تفيد الاستدراك: تنقل الخطاب من الحجاج إلى الحجاج المضاد مثل: لكن، إلا أن، إذا كان، مع أن، غير أن...</p> <p>حروف تفيد التوكيد: تؤكد فرضية المتكلم مثل: لأن، بما أن، لكون، بحيث، إذ إن ...</p> <p>حروف تحدّد النتيجة: مثل: إذا، والحالة هذه، بناء عليه، حينئذ</p>	<p>الروابط الحجاجية: حروف وأدوات لغوية تسهم في توجيه الدلالة والتحكّم في مسارات الخطاب، وهي حروف يألفها المتعلم لكنه يجهل وظيفتها في الحجاج منها:</p> <p>حروف تفيد الاستدراك: تنقل الخطاب من الحجاج إلى الحجاج المضاد مثل: لكن، إلا أن، إذا كان، مع أن، غير أن...</p> <p>حروف تفيد التوكيد: تؤكد فرضية المتكلم مثل: لأن، بما أن، لكون، بحيث، إذ إن ...</p> <p>حروف تحدّد النتيجة: مثل: إذا، والحالة هذه، بناء عليه، حينئذ</p>
<p>مثال عن ترتيب الحجج على السلم الحجاجي:</p> <p>النتيجة: إقناعه بالإقلاع عن آفة التدخين</p> <p>ح3 - يؤدي إلى الإصابة بسرطان الرئة والدم ثم الموت</p> <p>ح2 - يضعف الصحة</p> <p>ح1 - التدخين يهدر المال</p> <p>وضعية الانطلاق: شخص يدخن السجائر</p>	<p>السلم الحجاجي:⁹ تركز نظرية السّلام الحجاجية على مبدأ التدرّج في توظيف الحجج، وضرورة احترام قاعدة ترابطها، أي تعلّقها بالموضوع نفسه، وكذا قوة تأثيرها أو ضعفه في الخطاب.</p> <p>ينبّه المعلم المتعلم إلى ضرورة ترتيب الحجج التي يوظفها في بناء خطابه ترتيبا ديناميا متناميا من أضعف حجة إلى أقواها، حتى يكون المسار الحجاجي منطقي ويفضي إلى تحقيق اقتناع المتلقي.</p>

المصدر: من تصميم الباحثة

يُتيح محتوى الجدول إمكانية التعرّف على عناصر النظرية الحجاجية، وكيفية استثمارها في تخطيط برنامج حجاجي مدروس يفضي إلى اقتناع المتلقي، وتكمن أهميته في تعويد المتعلم على ترتيب أفكاره وتنسيقها، خاصة أنّ سياق المحاجة هو سياق مألوف ومتمكّر

في شتى الأنشطة التعليمية، سواء كان حجاجا أحادي الاتجاه يدافع فيه المتكلم عن قضية يؤمن بصحتها، أو مضادا؛ تتعدد فيه الجهات الممارسة للحجاج؛ ابتغاء فرض منطقها وإفحام خصمها، ولا شك أنّ النصوص الشرعية كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، يضاف إليها الأمثال، والحكم، وأقوال الفصحاء من شعر ونثر، ممّا ألف المتعلم توظيفه في تعابيره الشفوية والكتابية؛ تسمى بالحجج الجاهزة التي تعدّ من أقوى الحجج تأثيرا وإقناعا، خصوصا إذا تطابق سياقها الأصلي مع السياقات المتجدّدة التي ترد فيها، غير أنّها تتطلب مهارة في استحضارها فيما يناسبها من ظروف مقامية.

نتائج الدراسة:

- تقترح هذه الورقة البحثية اعتماد المقاربة التداولية مدخلا تعليميا مناسباً لتنمية الكفاية التواصلية لدى متعلمي المرحلة المتوسطة، وذلك بالاعتماد على النتائج الآتية:
- جلّ الممارسات التعليمية الدائرة داخل الصف الدراسي تندرج ضمن الخطاب التعليمي، وهو خطاب حجاجي تداولي بطبعه، يسعى المعلم فيه إلى تبليغ مقاصده إلى المتعلمين وإقناعهم بها.
 - العلاقة بين المعرفة التداولية والمعرفة التعليمية وثيقة، فالإشكالات التي تطرحها تعليمية اللغات هي من صميم البحث التداولي، بما يشجّع التقارب بينهما نظريا وإجرائيا.
 - تغلب على الخطاب التعليمي في المرحلة المتوسطة البنية الحوارية القائمة على المناقشة والتفاعل، حيث يتبادل طرفا الخطاب الأدوار؛ بين معلم: يشرح ويعبّر ويسأل ويوجّه، ومتعلم يجيب ويسأل... وهذا يدفع باتجاه الاشتغال على الكفاية التواصلية لدى المتعلمين، حتى يتسم الحوار بالجدوى وبالإيجابية.
 - تكشف الدراسة الميدانية توظيفا واسعا لجلّ الأفعال الكلامية المتعارف عليها في أدبيات الدراسة التداولية كالتقريريات، والوعديات، والتوجهيات، والسلوكيات، والتصريحيات، لكن حضورها عفوي تنتفي عنه القصديّة، بسبب غياب تكوين المعلمين في مثل هذه المقاربات المتخصصة، رغم ما تمتلكه هذه النظرية من قدرة على تحسين تأويل الخطابات وفهم الدلالات المباشرة والمتوارية.

- الخطاب التعليمي خطاب حجاجي بطبعه، لأنّ الحجاج سمة من سمات اللغات البشرية، وهو حاضر بقوة في كل مراحل الدرس وفي جميع الأنشطة التعليمية، ورغم ذلك تفتقر المقاربات التعليمية المعتمدة في المدرسة الجزائرية لأنشطة تعليمية تطوّر مهارة الحجاج لدى المتعلمين، وتشتغل على بنيته وأنواعه واستراتيجيات تخطيطه وشروط نجاحه.
- الخطاب التعليمي خطاب ذو مقاصد، لا يتوانى المعلم في السعي إلى تبليغها، سواء كانت صريحة مباشرة كالمحتويات التعليمية التي يتضمنها الدرس، أو مضمرة مسكوت عنها، كبعض الأفكار والأخلاقيات التي يتضمنها المحتوى، والظفر بالمقاصد مرهون بتطبيق قانون التعاون لبول غرايس بمبادئه: الكم والكيف والملاءمة والاتجاه؛ المسؤولة عن تنظيم إنتاج الخطاب وحسن تلقيه، وأنّ أيّ خرق يطل مبدءاً من مبادئ هذا القانون يترتب عنه استلزام حوارى مبني على افتراضات مسبقة يملكها طرفا الخطاب.

- الإحالة والتهميش:

(1): أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2001، ص 17

(2): Voir : Gilles Siouffi et Van Raemdonk, 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal, Rosny, Novembre, 1999, p 51.

(3) : عزف نعوم تشومسكي الكفاية اللغوية قائلاً: " من الواضح أن نعتبر الكفاية اللسانية معرفة باللسان كنظام مجرد متضمن في الإنجاز ومكوّن من قوانين تسمح بتحديد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير منته من التراكيب الجمالية ".

Voir: Chomsky Noam: Le langage et la pensée, traduit par Louis Jean Clavet, petite bibliothèque, Payot, Paris, 1986, p 106

(4): Voir : Hymes Dell : Vers la compétence de communication , traduit par Louis Jean Clavet , petite bibliothèque, Payot , Paris , 15 /11/ 1984, p 74.

(5): Voir Le Hall, H: Psychologie des adolescents, Presse universitaire, Dunad, Paris, 1998, p13

(6): اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د،ت) ، ص 47 .

- (7): للاستزادة حول هذه الشروط ينظر:
- فراس السليتي، استراتيجيات التعلم والتعليم – النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط 1، 2008، ص 20-22
- لبوخ بوجملين وشيباني الطيب، العناصر التداولية التواصلية في العملية التعليمية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، ع 10، مارس 2011، ص 67
- (8): للاستزادة حول هذه المسألة ينظر:
- Orecchioni, K.C, L'implicite, Armand Collin, Paris, p25-43
- Austin, I.L, Quand dire, c'est faire, Traduction Gille Lane, Editions du seuil, Paris, 1970, p79-88
- Searle, G.R, Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, Traduction Pauchard, H, Préface : Ducrot, O, Hermann, Paris, 2008, p95-106
- (9): للاستزادة ينظر:
- رضا الطيب الكشو، لسانيات التعليمية، منشورات كلية الآداب منوبة، مطبعة السفير الفني، تونس، 2017، ص 73-76
- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة – دراسة نحوية تداولية، كلية الآداب منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس 2001، ص 497.
- Searle, G.R, Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, p 6-10.
- (10): عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه)، مقال في سلسلة آداب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998، ص 350.
- (11): البشير اليعكوبي، القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصّان الحكائي والحجاجي أنموذجا)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 218.
- (12): أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب ط 1، 2006، ص 127.
- (13): ينظروفاً صبحي، لغة الخطاب الإشهاري – دراسة في الحجاج ووسائل الإقناع Noor publishing, International, Book Market, Omniscryptum publishing Group, ISBN: 978-620-2-35627-5, Berlin, p38-45
- (9): عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 95.

- قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتاب العربي الحديث:

- فراس السليتي، استراتيجيات التعلم والتعليم - النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط 1، 2008.
- لبوخ بوجملين وشيبياني الطيب، العناصر التداولية التواصلية في العملية التعليمية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، عدد 10، مارس 2011.
- رضا الطيب الكشوش، لسانيات التعليم، منشورات كلية الآداب منوبة، مطبعة السفير الفني، تونس.
- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة- دراسة نحوية تداولية، كلية الآداب منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس 2001.
- البشير اليعكوبي، القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصّان الحكائي والحجاجي أنموذجاً)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
- أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب ط 1، 2006.
- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
- وفاء صبحي، لغة الخطاب الإشعاري - دراسة في الحجاج ووسائل الإقناع
Noor publishing, International, Book Market, Omniscriptum
publishing Group, ISBN: 978-620-2-35627-5, Berlin

ثانياً: المقالات:

- محمد مدور، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة - دراسة تداولية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي بغرداية، العدد 16/2012، ص 48.
- ينظر حفيظة تازروتي، تعليمية التعبير الشفوي في مناهج الجيل الثاني للمرحلة الابتدائية ونظرية أفعال الكلام، مجلة لغة - كلام، عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني: "تدريس اللغة العربية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة"، مخبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي بغيليزان/ الجزائر، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد الأول، مارس 2017.
- لبوخ بوجملين وشيبياني الطيب، العناصر التداولية التواصلية في العملية التعليمية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، ع 10، مارس 2011.

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية:

- Gilles Siouffi et Van Raemdonk, 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal, Rosny, Novembre, 1999.
- Hymes Dell : Vers la compétence de communication, traduit par Louis Jean Clavet , petite bibliothèque, Payot , Paris , 15 /11/ 1984, p 74.
- Le Hall, H: Psychologie des adolescents, Presse universitaire, Dunod, Paris, 1998.
- Benveniste Emile, Problèmes de linguistique générale, T.2, Gallimard, Paris, 1974.
- Orecchioni, K.C, L'implicite, Armand Collin, Paris.
- Austin, I.L, Quand dire, c'est faire, Traduction Gille Lane, Editions du seuil, Paris, 1970.
- Searle, G.R, Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, Traduction Pauchard, H, Préface : Ducrot, O, Hermann, Paris, 2008.
- Searle, G.R, Les actes de langage, Essai de philosophie du langage.

Romanization of arabic references

- Firass Esselitti, Istratijiyette ettealom wa taalim- el nadariya wa tatbik , aalam el koutoub el haditte , Erbed, jordan , ed 1 , 2008.
- Lebboukh Boudjemline, Chibani Tayeb, El anassir el tadawoulia el tawassoulia fi el amalia el taalimia, majalat Al Attar, Wergla, N 10, march 2011.
- Reda Tayeb El kechou, Lissaniyat ettalimia , manchourat kouliyyette el adabe Mennouba , Matbaat essafir el fanni, Tunisia,2019.
- Khaled Miled, Al Inchea fi al Arabia bayna tarkib wa dalala- dirassa nahwiya tadawoulia , Kouliyat al adab Mennoubba, El mouassassa al Arabiya liltawzie, Tunisia, 2001.
- Al Bachir el yaagoubi, El kiraa Al manhadjia lilnass al adabi – annassanne al hikaie wa al hidjajje ounmoudajane, Dar el takafa li nachr wa tawzie, Dar el Bayda , Morocco, 2006.
- Abou bakr Al Azzaoui, Al loura wa al hidjaj, Al Omda fi tabae, DarEl Bayda, Morocco, 2006.
- Abd Essalam Achir, Indama natawassal nourayere- Moukaraba tadawouliya maarifia li aliyatte el tawassol wa al hidjaj, Ifrikiya li chark , DarEl Bayda, Morocco, 2006
- Wafa Sobhi, Lourat el khitab al ichhari – dirassa fi al hidjaj wa wassail al iknae, Noor publishing, International, Book Market, Omniscryptum publishing Group, ISBN: 978-620-2-35627-5, Berlin .

- Mouhamed Meddour, Nadariyet al afaal al kalamiabayna tourat al arabi wa el manahedj al hadita – dirassa tadaoulia, Madjalat el wahat lil bouhout wa dirassat , El markaz el djamie Ghardaya, N 16, 2012.
- Hafida Tazrouti, taalimiyet el taabir el chafawi fi manahidj al djil al tani lil marhala al ibtidaia wa nadariyat afaal al kalam, Madjalat Loura-Kalam, Al markaz l djamie Rilizene- Algerie, el moudjalad 3, al adad 01, March 2017.